# الفكر السياسي عند أمين الريحاني

بقلم الدكتور بشير العريضي

يبحث علم السياسة (*) في الانسان ، في اسمى ما يسهم بـه لخير الجماعة . انه يبحث في العدالة ، في سعادة المجتمع حيث يقوم كـل عضو بدوره لاستكمال معنى وجوده . وما الفكر السياسي الا فرع مـن فروع هذا العلم يتناول خلق النظريات السياسية وتحليلها بالطـرق العلمية المعروفة بالمنهجية .

من خلال هذا المقترب لا يمكننا معالجة الموضوع ، لاننا لسنا حيال نظريات سياسية بل امام ادب سياسي رفيع ، وفق فـي ربطه بيـن القضايا الاجتماعية السياسية والفكر السياسي فكان جرأة فـي التوجيه وعمقا في التثقيف واخلاصا في المناقبية .

ذلك هو الفكر السياسي في ادب الريحانـي وساتناوله حسب القضايا والمفاهيم لا حسب التسلسل التاريخي او البحث فـي كـل مؤلف بمفرده .

***

ولقد اعتمدت التشديد على ما يتعلق بكتاباته عن لبنان وارائـه وانتقاداته كي اتمكن من المقارنة والتحليل زمنيا .

قال الريحاني : « ان امنيتي الجوهرية ان اكون صادقا في اقوالي مستقيما في مبادئي وارائي ، طبيعيا في تصرفي وسلوكي » .

وهو الذي قال : ان مقال الكاتب قسم من نفسه ؟ وهذا لعمري مـا حدا بنعيمه الى ان يقول فيه : « انه الجراح ذو المشرط الحاد والمقرض الذي لا يلوك الاشياء لوكا ولا يلتوي عليها التواء » .

او ليس هو القائل : انت صريح فتقدر الحريـة والصراحة ... والواجب الاول والاكبر على الاديب هو الاخلاص .

انه خلافا للكثيرين من الكتاب يعرف سلوكه عن ادبه وادبه عـن سلوكه . انه الانسان الاديب والاديب الانسان الذي يمكننا ان ننسبـه لادبه فنقول : كان الريحاني ريحانيا .

وابدأ بتحليل افكاره من خلال ما قال عن شخصيته التـي ارادها ارستقراطية الارادة ديمقراطية السلوك .

ان ارادته بنت نفسه الابية وعقله الفياض الوماض وقد ابت عليه الا ان يكون حرا ، داعيا للحرية ، حربا شعواء على الظلم والظالمين دولا كانوا ام افرادا . وقد آمن بكرامة الانسان وحقه في تقرير مصيره .

ان تنديده بالظلم شغل معظم تفكيره . مـن لقائه مـع محمد كـرد علي لا يذكر الا الحديث عن الظلم والظالمين . من احاديثه الطويلة مـع الشهيد بترو باولي لا يذكر الا ما قيل عن الحرية والاحرار عند دينان .

ولطالما عاد لواديه المقدس يناجيه ، يستلهم الطبيعة ، يحدثهـا بمرارة عن ظلم الانسان للانسان . فلا عدو لديه الا الظالم ، وفي معرض مقارنته ما قيل بالوتد في الادب الفارسي ومـا قالـه العـرب ذكـر ان الفرس قالوا : اود ان يكون عدوك كوتد الخيمة ابدا ، جسمه في التراب ورأسه للحجر والحبل في عنقه . من هذه المقارنة خرج الامين بدعـاء معبر فقال : « جعل الله الظالمين كالاوتاد الفارسية » .

وهو الذي صرخ في وجه الحكام : « حصنوا البلاد بالعدل ايهـا الحكام والرؤساء وكفوا عنها يد الظلم » .

او ليس هو القائل : « لكل منا حقوق طبيعية متساوية لازمـة . عار علينا ان نسكت عمن يهتضمها من اولي الرئاسة والامارة » .

وما اروعه من ثائر على كل جائر عندما يقول : « المدينة العظمـى هي التي يحترم المرء فيها جسده وروحه على السواء . هي التي ينبـذ رجالها ونساؤها الشرائع التي يسنها المستغلون لمصلحة افراد . هـي التي ينهض فيها الشعب نهضة واحدة علـى ظلم الحكـام وفساد المسيطرين » .

ان المدينة التي ينبغ فيها اعظم الرجال واعظم النساء لهي اعظـم مدن العالم وان كان سكانها لا يتجاوزون عدد سكان الفريكة .

من خلال هذه البينات التي اقتبستها مـن كتبه والعديد غيرها نلاحظ الانسجام مع الفكر السياسي الثوري عند توماس بين من جهـة وجفرسون من جهة اخرى . وقد دعـا الامين لتحرر الروح وابتهـل جفرسون اليه تعالى ان يذيق العذاب الابدي كل من يظلم فكر الانسان .

في نقده اللاذع للسلطة الفاشمة نراه فولتير العرب . وفي وصفه لابي العلاء بالبحر الجسور الحكيم يعبر كما تعبر حكمياته عـن سلطان العقل في فورانه وثوراته . العقل الذي يسعى دائما لادراك الحقيقة . لقد اكثر في الكلام عن الحقيقة وكأني به يحمل فانوس ديوجينوس مـن فرط ألمه لما رأى من مفاسد ومظالم . فـي تحكيمه لسلطان العقل وفـي ثورته على الجهل وفي ربطه السياسة بالاخلاق نرى ومضات افلاطونيـة كقوله : « الاخلاق سياج الحقوق والاخلاق السليمة السامية هي نـور العدل في الملك » .

ويلاحظ القارىء لادبه انه كان يعتمد بيـن حين واخر الحوار الافلاطوني الجدلي لوصوله الى ابراز مـا يـود قولـه بالتسلسل الديالكتيكي . لا بل انه ذهب ابعد من اسلوب افلاطون الـى المحتوى الهيجيلي فقال بحتمية التطور معبرا عنه بقوله : «ان روح التبدل حية فينا . ان ناموسا ازليا يبدل في ماهية الاشياء ولا يتبدل » .

وفي بحثه في المساواة والسعادة كان مرتادا لجمهورية افلاطون . قال في الريحانيات : السعادة هي اتقان الصانع لصنعتـه ، وليست السعادة تلك التي ينهك الجاهل قواه في ملاحقتها ويموت اخيرا وهـو بعيـد عنها .

وكذلك رأيه في المساواة رأي افلاطوني عبر عنـه بقوله الناس لا يولدون متساوين لا في القوى العقلية ولا الجسدية ولا الروحيـة ... والذي يمكننا التوصل اليه بعد جهد طويل والثبات في مضمار الارتقاء هو ان يعرف كل امرىء مقامه ويجازي كل امرىء على عمله وهذه فـي نظري المساواة الحقيقية .

هكذا قال افلاطون بتعاون الطبيعة مع العقل ( وقد عبر الامين عـن عمل العقل بالجهد والثبات ) لوضع كل انسان في مكانه المناسب .

وفي مناجاته لله : « متى يا رب تتساوى الاعضاء وتتوازن فتظهـر على المجتمع علائم الجمال والكمال » . افلاطونية تنتمي للقرن العشرين اي افلاطونية المنشأ ترتدي طابع العدالة الاجتماعية .

وفي تفنيه بالمدينة العظمى التقى بافلاطون عن طريق الفارابي فـي مدينته الفاضلة .

اما الحرية فقد نالت القسط الوفير من فكره وقلمه . عبر عنهـا عند تنديده بالظلم وتفنى بها طريقا للتجسد الانساني . آمـن بالانسان ذي الكرامة فكان انسانه صاحب الحق في تحقيق ذاتية ذاته فاهاب بـه للمطالبة بحق تقرير المصير معتمدا القانون الطبيعي اساسا لقانونيـة بحثه . تابط ذراع جون لوك واقتحم واياه رواق الرواقيين فاذا بهمـا في دارهما .

(*) محاضرة القيت في اسبوع الريحاني

اكتفى جون لوك بالدعوة الى حق الانسان في الثورة على فساد الحكم بينما تخطاه الامين بقوله ان الثورة واجب لا بل اكثر من واجب انها دين وايمان . لنستمع اليه يخاطب طالبات الاهلية عام ١٩٣٣ :

« يا بنات بلادي الغاليات عندما تصبحن امهات علمن اولادكن الا يركعوا امام احد من الناس ، علمنهم هذه الحقيقة الكبرى : ان التمرد على الظلم وان جر البلاء خير من الخنوع وان كان فيه الراحة والهناء وعلمنهم ان الدفاع عن الضعيف المظلوم فردا او جماعة او شعبا لمن اسمى مظاهر الدين والايمان » .

وللحرية عند الريحاني وجوه ووجوه ، وقد عبر عن بعض هذه الوجوه بقوله في القوميات بان الحرية مثلثة اي الحرية الروحية والحرية الخلقية والحرية المدنية . وتعليل هذا التقسيم يحدو بنا لتسمية الامين بالتحرري اي الليبرالي واصحاب هذا المبدأ يعتمدون الاخلاق كاساس للنظام الديمقراطي وقد سبق ان ذكرت شدة تمسكه بالمناقبية ، وهو الذي قال في احدى مقالاته : اننا في هذه البلاد الشرقية لفي حاجة شديدة الى الاخلاق السامية والى المثل العليا في الجهاد الوطني فالانساني ولك ان تقول الجهاد الانساني في الوطنية .

ووجه اخر من وجوه الحرية عنده قد لا يمت الى مفهوم الحرية كما نعرفه بصلة او قد ينتمي الى الفكر الافلاطوني الهيجيلي القائل بان الانسان يصل الى حريته القصوى عن طريق طاعته التامة للدولة ، الدولة هنا هي واسطة الانسان الى الخير المطلق فهل عنى الريحاني ذلك عندما ذهب بمبدأ الاقتراع ودعا للطاعة التامة للزعيم اللائق . افلا تشعرون معي بان المقطع التالي ينتمي فكرا لروح الامة عند هيجل ؟ يقول الريحاني :

« البطل هو ابن السماوات والارض ولا يوجده في الناس الا الله. فان كنت يا اخي اللبناني تشعر ان في جلدك شيئا من البطل وفي قلبك شيئا من نور الله ، فاظهر باسم الله واحكمني وسخرني في سبيل الحق والوطن » .

الا ترونه هنا كارليلا جديدا يقدس البطولة ويدعو الجماعات لطاعتها ؟ ام رونه وجفرسون يتعاوران ملاة الفخر بدعوتهما للبطولة العصامية ونبذ الارستقراطية والوراثية والاقطاعية ؟

انه جفرسون نصير الفلاحين والفقراء الذي حارب بكل قواه دعوة هاملتن للحكم الارستقراطي الاوليغاركي .

وانه الامين الذي قال في ارستقراطيي لبنان : كرام الناس بالقوة. هذه الهيئة الاجتماعية التي تذل وتذل بقدر ما فيها من جهل وكبرياء وبقدر ما فيها من تسكسك وخنوع .

وقد تعود جذور رأيه في البطولة للفيزيوقراطية ، للانسان المتصل بالارض ، الحاني على محراثه ، القريب من السماء ، العامل على ارضاء ربه بتحصيل قوته بعرق جبينه ، هذا القوت الذي اراده الامين له ممزوجا بعرق الكرامة لا بدموع المذلة .

واذا كان جفرسون قد قال : « اذا كان هنالك من شعب مختار فلا شك انهم الفلاحون » . فا نالريحاني قال عن نفسه انه « جفا الانس الا الفلاحين منهم » . الا ينسجم تفكيره وجفرسون عندما يقول « تباركت ثمرة بطنك ايتها الاخت الفلاحة ، تباركت في احشائك جرثومة الابطال » .

اني ارى الريحاني هنا اكثر مما اراه في كارليل ، اراه على حقيقته من قوله : « ان صوت الله في صوت الجماعات » .

من هنا استطرد الى السؤال الكبير :

هل كان الريحاني ملتزما بعقائدية معينة ؟ نعم كانت عقيدته في عزوفه عن العقائديات لان فكره الرحب كان يجول هنا وهناك ليقدم لكرامة الانسان رحيقا شهيا .

كرامة الانسان في رأيي شغلت جل تفكيره :

الانسان المواطن الدولي .

الانسان المواطن العربي .

الانسان المواطن اللبناني .

وهو نفسه كان هؤلاء المواطنين .

ولقد دعا الفرد لتحرير ذاتيته بذاته ، دعا اللبناني للعمل على الخلاص من الفساد والظلم وزبانيتهما ، اهاب به لارساء قواعد الوحدة الوطنية عن طريق التحرر من شوائب الطائفية والانعزالية وما اروعه عندما يقول :

« العرب اجدادنا والفينيقيون اجدادنا ، وبعد هذا وذاك ، ايها السادة الامم بفضائلها لا باصولها ، وفي ارثنا القومي ، الروحي والعقلي والاجتماعي حسنات الارومتين الساميتين الفينيقيةوالعربية.»

وقد دعا العرب ليتحدوا ويقاوموا المستعمرين . دعاهم باسم اللغة والثقافة والعنصر والارض الواحدة . ودعا لسياسة المحبة والاخاء والسلام في العالم . دعا لاحترام القوي للضعيف وعبر عن طغيان الدول الكبرى بقوله : « عبثا جاء السيد المسيح الى الارض . انقوميته مرحلية ، واسطة لا غاية . واسطة لتحقيق العدالة والسعادة . واسطة للوصول الى وطنية انسانية ... نحيد ذلك اليوم وننظر الى المستقبل بعين الشوق والامل والايمان . » هكذا قال عام ١٩٢٨

من الفكر المقدس للابطال عند افلاطون وهيجل ونيتشه وكارليل والفاشستية ، من الفكر الديمقراطي الذي استقي من لوك وجفرسون وروسو والثورتين الاميركية والفرنسية ، من الفكر الاشتراكي بشقيه عند اون وسان سيمون وماركس ، من هذه الحقول الفسيحة قطف الريحاني كل زهرة تزين صدر الكرامة البشرية .

من هذه الافكار اخذ ما طاب له ووقف حيال بعضها متسائلا . وتساؤله هذا اراه اكثر ما اراه بصدد الفكر الاشتراكي حيث طرح العديد من الاسئلة دون ان يجيب عليها .

يقول : ان خيرات الارض تكفي سكانها اذا وزعت توزيعا عادلا على الجميع .

ويقول : اما الاعتصاب اي الاضراب فهو نتيجة حسنة للاحتكار المميت ، هو جرثومة الخير في الشر . فاذا حق لارباب العمل ان يتحدوا ليحتكروا لزوميات الحياة ، افلا يحق للعمال ذلك ليحافظوا على بيوتهم وعيالهم وحياتهم على الاقل ؟ .

ويقول في مكان اخر : « ترى من لا يفضل صورة كارل ماركس هذه على صورة كارليل ؟ من لا يعمل استطاعته ليقرب اليوم الذي تتحقق فيه هذه النبوءة ؟ ومن لا يبذل ما في وسعه في سبيل هذه الامنية الجميلة ؟ سقيا لليوم الذي يبتدىء فيه عصر الانسانية والمحبة ».

هكذا فهم ماركس ، ولكنه لم يقل شيئا في فلسفته المادية ، وهو يضيف : يجب ان يقل عدد الفقراء في العالم ثم يقل فيزول الفقر تدريجا وتزول شروره كلها . هي ذي الحالة الاقتصادية الاجتماعية التي ينشدها ذوو الفكر الراقي ذوو الفكر العالمي الانساني . هذا الهدف الاقصى وستدركه الامم المتمدنة جمعاء » .

لقد آمن الريحاني بالنظام التمثيلي وبالشرائع التي تسنها المجالس النيابية وعاد ليتساءل فيما بعد قائلا :

« اهذه هي الحكومة الديمقراطية التي اسست لتعميم المساواةبين

ـ التتمة على الصفحة ٧٣ ـ

طبعت على مطابع

دار الغد للطباعة والنشر

تلفون ٢٢٢٩٢١

# الريحاني والفكر السياسي

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٣ ـ

الناس ؟ اية شرائع مكنت هؤلاء الرجال من عملهم وساعدتهم على احتكار ضروريات الحياة والاستبداد بالعباد ؟ » .

ويقول في مقاله « التمدن الحديث » :

يقولون ان الاعوجاج في الجمهوريات يتقوم بالاقتراع فنقول انكل صوت كبيرا كان صاحبه او صغيرا يشترى ويباع . ويضيف في نفس المقال : ما هي فضائل هذا التمدن المؤسس على المادة والطمع والاستئثار؟ التمدن الذي يسن ارباب المال شرائعه فيطبقها سماسرة البورص واصحاب المعامل وينشرها وزراء الحربية بالمدافع والمدرعات ؟

اذا توقفنا لنحلل كل كلمة في هذا المقطع الاخير نجد دونما ريب بعضا من ماركس وبعضا اكثر من لينين في بحثه : « الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية » .

لقد كان ابعد الناس عن المادة والمادية لذا دعا وشدد لتحرر الحرية المدنية من الاستعباد المادي بقوله : « اتحسبون الفقراء والعمال في الجمهوريات من الاحرار ؟ اتقوم الحرية بهذا الوهم الذي يدعونه في الدول الدستورية حق الاقتراع ؟ ... ما الفائدة من الحرية السياسية التي يكفلها القانون اذا كان القانون في قبضة الاغنياء ؟ » .

اذا كنا نرى هنا مسحة من اشتراكية فكيف نفسر قوله في الريحانيات :

« هل تخلصنا من عبودية الافراد لنقع تحت عبودية الدولة ؟هل وجدت الدولة للانسان او وجد الانسان للدولة ؟ »

انه عندما قال بترقبه لتجربة الاتحاد السوفياتي اجاب بطريقة غير مباشرة على عدد من التساؤلات التي استحوذت على تفكيره . انه يؤمن باية فلسفة سياسية تعمل لرفع شان الانسان في حريته المثلثة . في تفتق افاق عقله وعلو نفسه ورفاهية جسده .

ان اجاز واجزتم لي ساطرح انا نفسي سؤالا :

هل كان اقرب ما يكون للفابيين ؟ انها افتراضية تستحق المتابعة خصوصا واني ارى بينه وبين لاسكي بعض الشبه .

ليس الدين مفهوما سياسيا لنتناوله في البحث . اما الطائفية، اي الدين في السياسة ، فلا بد من بحثها لانها تتناول تسخير الروحانيات في سبيل السلطة الزمنية ، وهذا بالذات ما تصدى له الريحاني بقوله :

« ان مزج الدين بالسياسة يقضي على الاثنين بالفساد » .

ونحن لا نجد في بحثه للطائفية وشرورها فكرا سياسيا بل نجد مواقف ودعوة اصلاحية توجيهية . لقد شجب الطائفية ودعا لفصل الدين عن الدولة وكان لسان حاله يقول : ان تقدم الجماعات والافراد يقاس بما يقدمون لوطنهم والانسانية لا بالشكل الذي يتعبدون به .

وكم كان موفقا في استطراده المنطقي عندما قال في الريحانيات : « التساهل نجم عن التعصب ، فلولا احدهما ما كان الاخر . فالتعصب اذن ولد التساهل والتساهل ولد السلام والسلام ولد النجاح والنجاح ولد السعادة . السلام يولد النجاح ، هو الاساس في نظرية العقد الاجتماعي عند فلاسفة القانون الطبيعي . »

***

وبعد ، فالريحاني ليس محاضرة وبحثا وكتابا . انه سفر من اسفار الخلود ننطلع الى فجره الدائم عند اشتداد الظلمة . انالريحاني ينبوع علوي نرتوي من منهله الشجاعة واحترام الذات الانسانية صورة الله في خلقه . ان الريحاني شمعة اضاءت جوانب الطريق لجيل عاصره . شمعة نفدت مادتها ، ولازمت نورانيتها جوانب العقل الواعي في الاجيال الصاعدة .

**بشير العريضي**


## فتح جديد في الادب العربي

***

اذا كانت الاندلس ذروة بين امجاد العرب ، فتراثها الادبي كنز لا يفنى ، وقيمة لا تزول . غير ان درراً ثمينة من هذا الكنز ما تزال مطموسة في غياهب التاريخ ، يعلوها غبار الاهمال والنسيان ، ومنها « ديوان ابن شهيد الشاعر » الذي جمعه وبوبه المستشرق العالم شارل بيلا ، وقدم له العلامة بطرس البستاني بدراسة قيمة ابرز فيها ما في الديو ان من الابداع والجمال الفني . ولا ريب في ان طبع هذا الديوان حدث كبير في تاريخ الادب العربي ، فاطلبهمن « **دار المكشوف** » ، بيروت ، ص.ب. : ٥٨١، تلفون ٢٢٤٧٧٠ .

في الشهر القادم

## الاشتراكية والتسيير الذاتي

**تأليف البير ميستر**
ترجمة نزيه الحكيم

اول تعريف كامل بالتسيير الذاتي نظرية وتطبيقا ، من خلال التجربة اليوغوسلافية ، تلك التي تتجه اليها انظار كثيرة في بلدان العالم الثالث كنموذج للتوفيق بين الاشتراكية والديموقراطية ، بما حقق من انجازات وما لا يزال يواجه من مصاعب .

قام البير ميستر بهذه الدراسة على الواقع بالاشتراك مع عدد من علماء الاجتماع الفرنسيين واليوغوسلافيين ، متعرضا فيها لكل جوانب التسيير الذاتي في المصانع والحكم الذاتي في الاقاليم والادارة الذاتية في مختلف خلايا المجتمع .

كتاب تحتاجه كل دولة عربية تسير في طريق الاشتراكية ، ويحتاجه كل مواطن عربي يحرص على ان يأخذ فكرة كاملة عن مكاسب الاشتراكية .

**منشورات دار الاداب**